
رحلة نقطة ماء
بقلم
سامر إسلامبولي

رحلة
نقطة ماء

تأليف
سامر إسلامبولي

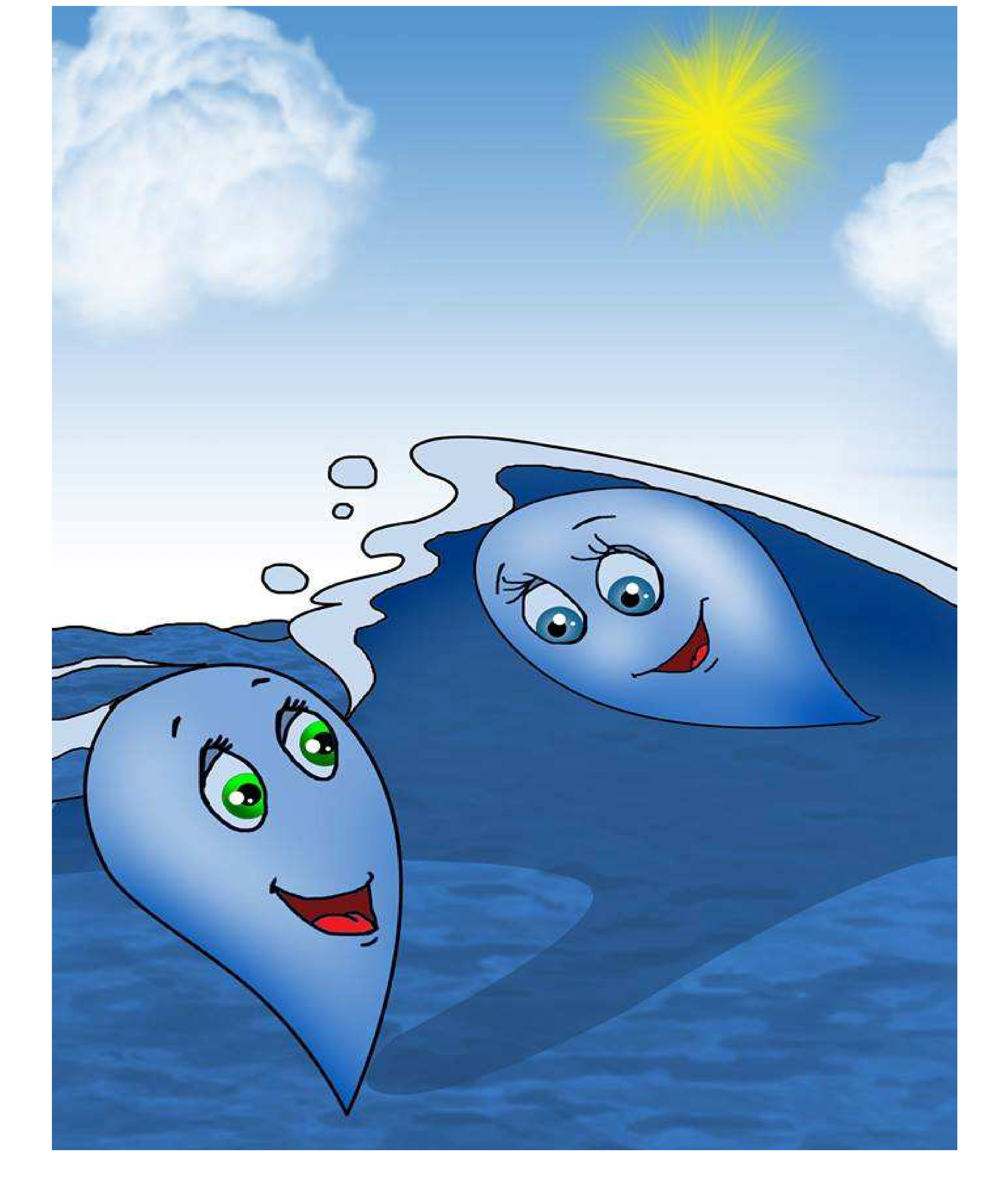
رسومات الفنانة
سيرين سهيل الفاتح

رحلة نقطـة مـاء

كانت نقطةُ ماءٍ تُسمى زينة تعيشُ مع أخواتها في البحر تمرحُ وتضحكُ وتلعبُ، وتعلو مع الموج وتهبطُ معه مُستلقية على ظهرها، تصرخُ مبتهجة وهي تنحدرُ من على الموجة بسرعة وكأنها في مدينة ملاهي !.

نظرت زينة إلى أعلى فشاهدت قرصَ الشمسِ بلونه الذهبي اللامع يشعُّ نوراً وحرارةً، وشاهدت بعض رفيقاتها يتأثرنَ من حرارةِ الشمسِ ويتحولنَ إلى صورة غازية مثل الدخان، ويصعدنَ إلى أعلى ويتجمّعنَ مع بعضهنَّ بعضاً، ثم تأتي الرياحُ لِتحملَهُنَّ إلى مكانٍ بعيد، فاستغربت زينة مما يحصلُ أمامها ! وسألت رفيقاتها: إلى أين يَذهبنَ هؤلاء؟

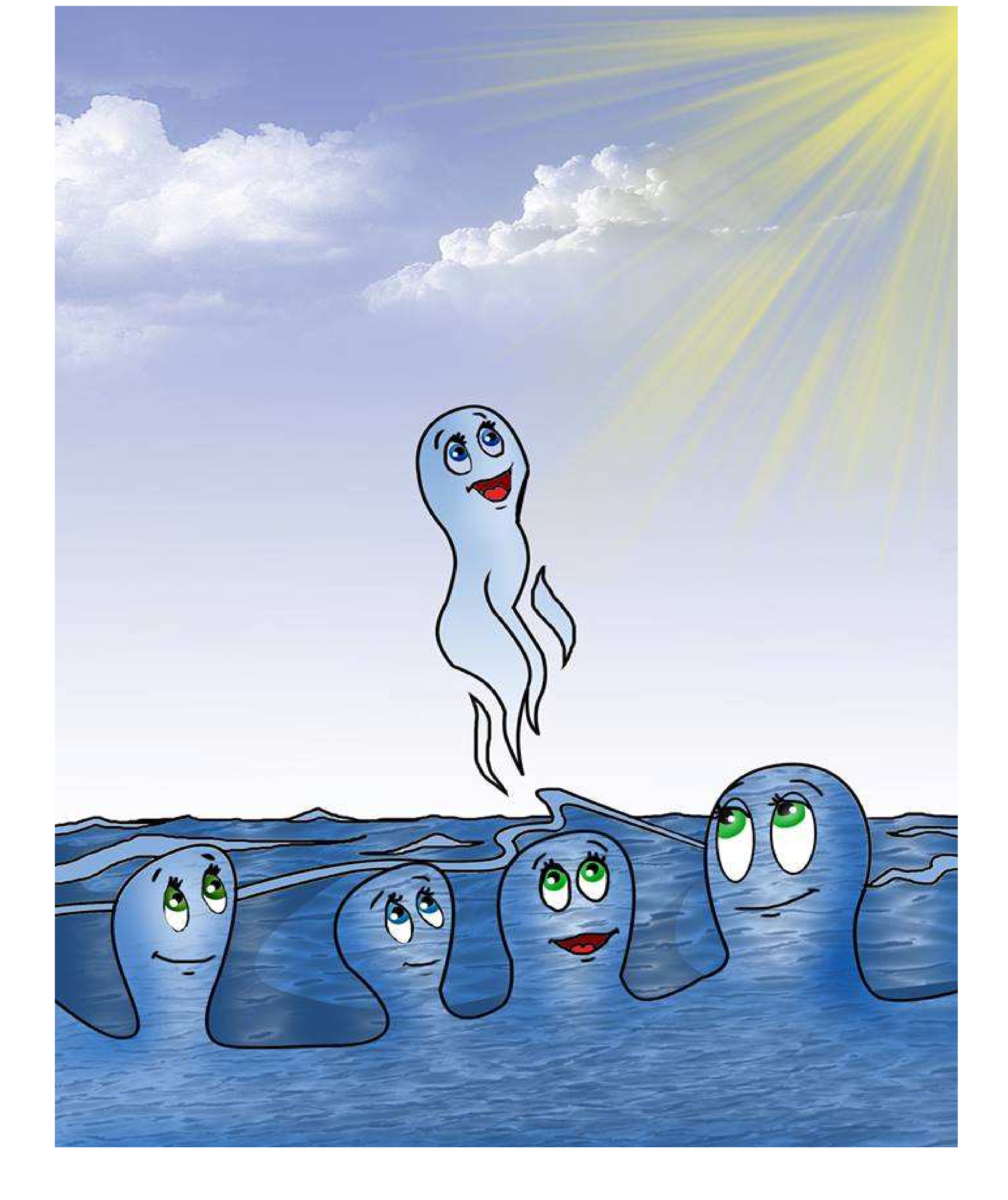
قالت نقطةُ ماءٍ كبيرةٍ: تعالي يا زينة لأعرفكَ على بعض نقاطٍ من الماء أتينَ حديثاً لتَسأليهُنَّ عن رحلتِهنَّ! فذهبت زينة واستمعت إلى قصتهنَّ بشغفٍ، وأصابها استغرابٌ وعجبٌ من أحداث الرحلةِ، فقررت في نفسها أن تذهبَ في تلكَ الرحلة.



قامت زينة وسألت نقاطَ الماءِ التي جاءت حديثاً: كيف يسافرنَ ؟

فأجابتها نقاطُ الماءِ: الأمرُ سهلٌ جداً ! ما عليكِ إلا أن تحافظي على وجودكِ نهاراً فوقَ سطحِ الماءِ لتتعرضي إلى أشعة الشمسِ أكبَر زمنٍ ممكن فيتمَ اختيارُكِ للمشاركة في الرحلة وتتحولِيَن إلى صورةٍ غازيةٍ مثل الدخانِ ويخفُّ وزنُكِ وتطيرينَ إلى أعلى، وبعد ذلك استرخي واستمتعي في خط سير الرحلةِ، واكتفي بالمشاهدة والمراقبة لما يحصلُ معكِ، وسرعانَ ما تجدينَ نفسَكِ قد انتهت رحلتُكِ وعدْتِ إلى البحر!.

وفعلاً حافظت زينة على وجودها عائمةٌ على سطحِ الماءِ، تعرضُ جسمها لأشعةِ الشمسِ، إلى أن مضى بضعُ ساعاتٍ، فشعرتْ بحركة اهتزازية في جسمها، فنظرتْ إلى نفسها فرأتْ أن جسمَها يتحللُ ويتجزأُ وينفصلُ منه الملحُ، ويتحولُ إلى بخار، ويتصاعدُ إلى أعلى! واجتمعتْ في الجو مع رفيقاتها وشكّلنَ مع بعضهن مجموعة واحدة ليسافرنَ في الرحلة.



وهَبَّتْ الرياحُ، ونفخَتْ عليهنَّ من نَفَسِها! فبدأت قطراتُ الماءِ التي تحولت إلى بخار بالاجتماع مع بعضهن ليشكِّلنَ الغيمة، وبدأن بالتحرك والسير وصرنَ سحابةً، فنظرت زينة من الأعلى إلى البحر تودِّعُه وتودِّعُ رفيقاتها، إلى أن غابَ البحرُ عن نظرها، وصارت فوقَ قِمَمِ الجبالِ والسهولِ والوديانِ، تنظرُ يميناً ويساراً مستمتعة بهذه المناظر الجميلة التي تسحرُ العيونَ من روعتها، فرؤيةُ الأرضِ وما فيها من جبالٍ ووديانٍ وسهولٍ وأنهارٍ وبحيراتٍ وغاباتٍ من الأعلى مختلفةٌ جداً عن النظرِ إليها من الأسفلِ.



واستمرت السحابةُ في سيرها بواسطة دفعِ الرياحِ لها، وزينة مستمتعة بهذه الرحلة التي لم تتوقعْ أن تكونَ بهذه الروعة والجمال! وبعد فترة وجيزة شعرت زينة باصطدام هزَّ جسمها وانتفضت مرعوبة لتسمعَ صوتَ انفجارٍ قويٍ ظهَر على أثره ضوءٌ لامعٌ وَمَضَ كالسيفِ واختفى، وبدأت تشعرُ في عمليةِ تحولٍ في جسمها! فسألت رفيقاتها القدامى اللاتي لهنَّ تجربةُ سفرٍ سابقة: ماذا حصل؟ فأجبنها ضاحكين إنها عملية تلاقح السحاب مع بعضه فينتجَ صوتُ الرعدِ من عملية الاصطدام ويظهرَ البرقُ، وذلك ليتمَّ إرجاعهنَّ إلى صورتهنَّ المائية الأولى لينتقلَنَّ إلى الجزء الأخير من الرحلة، وينزلنَ على الأرض بصورة قطراتِ ماءٍ متتابعة تسمى المطر لتبدأَ أحداثُ الرحلةِ الحقيقية ويتحققَ الهدفُ من رحلة نقاطِ الماءَ.



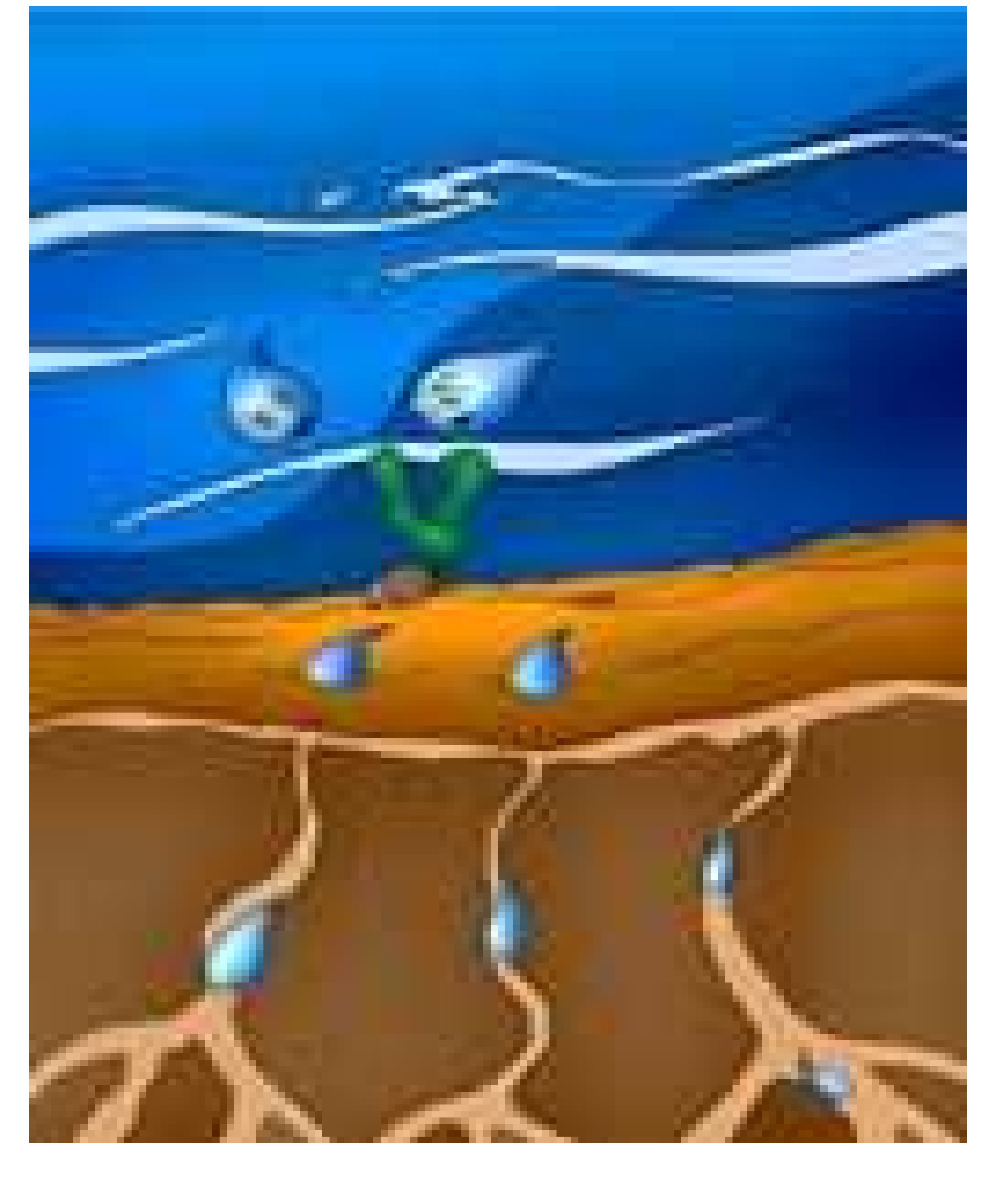
وصلت زينة إلى سطحِ الأرضِ، والتقت مع رفيقاتها وشكَّلنَ سـيلاً صغيراً من الماءِ يسيُر بسرعةٍ منحدراً حسب ميل سطحِ الأرضِ، إلى أن وصلنَ إلى جدولٍ صغير فارتمَيَن في أحضانه لينضمَّنَّ إلى قطراتٍ أخرى ويتابعنَ السير معهنَ، فسألت زينة رفيقاتها: إلى أين نذهب؟ فأجبْنَها اصبري وسوف ترينَ كل شيء بنفسك!



وبينما زينة تسيرُ مع رفيقاتها بين الحقولِ والأشجارِ يظهرُ فلاحٌ أسمرٌ قويُ العضلاتِ مشمرٌ عن ساقيه وساعديه يحملُ في يده معوَلاً يشقُّ به طريقاً ليسيرَ الماءُ فيه إلى أرضه. فسألت زينة ماذا يريد هذا الفلاح من الماء ؟ فقالت رفيقاتُها: يريدُ أن يسقيَ زرعَه، لأن النبات لا يمكن أن ينموَ دون ماء، فالماءُ أساسٌ للزراعة، والأرضُ التي لا يوجدُ فيها ماءٌ هي أرضٌ ميتة.



قالت زينة: سوف أتجاوزُ الفتحةَ التي صنعها الفلاحُ في الجدول لأني أريدُ أن أتابعَ رحلتي لأرى كامل أحداث الرحلة. وبينما زينة تجري مع رفيقاتها في جدول الماءِ مسرورة شعرت أن بعض رفيقاتها من قطرات الماءِ يغوصون ويختفون في باطن الأرضِ! فاستغربت من ذلك! وسألت أين يذهبنَ هؤلاء القطرات؟ فأجبنها إنهن يغوصون في باطن الأرض ليتجمعنَ فيها مشكلين خزانات للماء ليتمَ استخدامه من الإنسان عند الحاجة من خلال حفر الآبار والوصول إلى هذا الماء المتجمع في باطن الأرض.



وتابعت زينة سيرها مع الجدول إلى أن وصلنَ إلى نهرٍ كبيرٍ يجري بسرعة، فصب الجدول ماءَه في النهر ليتابع السير معه، وقفزت زينة إلى النهر، وهي تشعر بسرور، فالأمر يزداد إثارة وتشويقاً، فأحداث الرحلة متغيرة بصورة دائمة! وبينما زينة مستمتعة في رحلتها مع النهر إذ تسمعُ صوتَ هديرِ الماءِ وارتطامِه بماء آخر! فرفعت رأسَها ونظرت فرأت مساحة كبيرة من الماء متجمعة، والنهرُ يصبُّ فيها! فقالت: هل وصلنا إلى البحر؟ فردت رفيقاتُها: لا،لم نصل إلى البحر! إنها بحيرة كبيرة يتم جمع الماء فيها كخزان كبير ليستفيدَ الناسُ منها.



ونزلت زينة إلى البحيرة، وبدأت تتجول فيها، تتفرج على الأسماك المختلفة عن أسماك البحر، لأن ماء البحيرة ماء عذب غير مالح، بينما ماء البحر ماء مالح، وبينما كانت زينة تتجول رأت إنساناً يحملُ في يده قارورةَ زجاجٍ يقتربُ من البحيرة ويأخذُ منها كمية صغيرة من الماء ويضعهُ في داخلِ القارورة. فاستغربت زينة من فعله ! وسألت رفيقاتها: ماذا يفعل هذا الإنسان بهذه الكمية القليلة من الماء ؟ فقالت رفيقاتُها: إنه عالم يقومُ بأخذ عَيّنة من الماء ليحلِّلَه في مخبره ليعلمَ ما مدى صلاحية الماء للشرب، وما مدى تلوث الماء بالنفايات الكيماوية التي يرميها الناسُ الآخرون في البحيرة. فاستغربت زينة من ذلك الكلام وقالت: إذاً هم يقومون بتلويث الماء ! ومن ثم يقومون بمحاولة تطهيره، لماذا منذ البداية لم يحافظوا على طهارة الماء؟

فردت رفيقاتها: ليس الناس الذين يقومون بتلويث الماء يقومون بتطهيره، فيوجد مجموعة أخرى من الناس تهتم بصحة الناس ونظافة الماء، ولا يهمهم المال وجمعه على حساب تلويث البيئة والضرر بالناس!

قالت زينة: إذاً يوجد ناسٌ طيبون، وناس أشرار!.

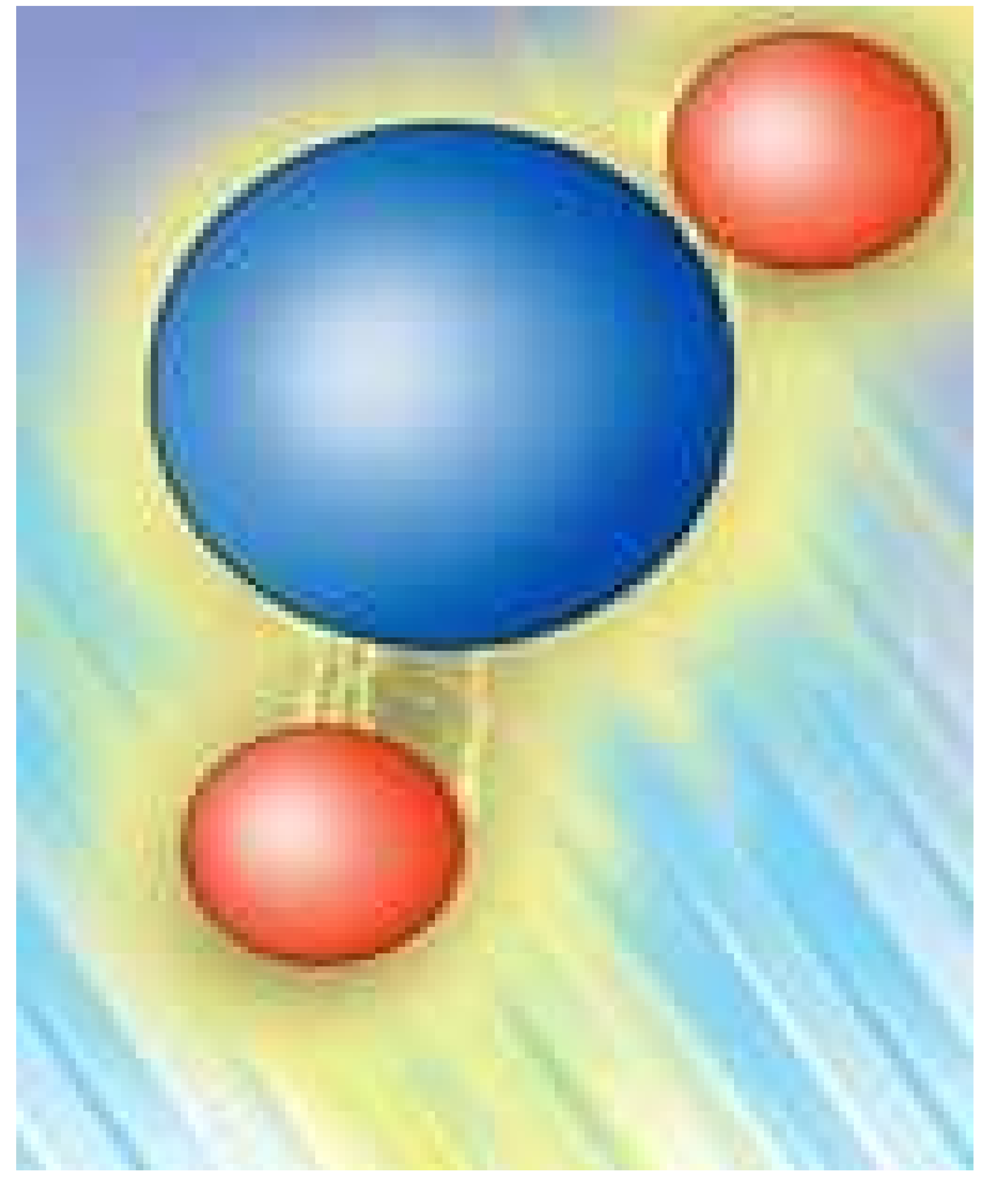


وبينما زينة تتجولُ في البحيرة شعرت بتيار مائي يسير باتجاه معين، فسألت زينة قطراتِ الماءِ: إلى أين يسير هذا التيار المائي؟ فقالت قطراتُ الماء: إنه يخرج من البحيرة ليتابع سيره في النهر. فقالت زينة: إلى أين يذهب ؟ فرددن عليها: إنه يذهب ليصبَّ في البحر. فقالت زينة: سوف أذهب معه لقد اشتقت للبحر والملح الذي فيه ورفيقاتي وأسماكه ومَوْجِهِ، إني ذاهبة! ودخلت في عمق التيار المائي الذي حملها وخرج بها من البحيرة إلى نهر كبير يجري بسرعة. واستلقت زينة على ظهرها تحلم بالأحداث التي جرت معها، وبلحظة الوصول إلى البحر.

انتبهت زينة من حلمها نتيجة ازدياد سرعة الماءِ في المنحدر، وسألت رفيقاتها: هذه نهاية أحداث الرحلة ؟! فقالت قطراتُ الماءِ: إنها نهاية أحداث رحلتك أنت. فأحداث قطرة الماء أكثر من ذلك بكثير !

فقالت زينة كيف ذلك ؟! فقالت قطرات الماء: إن قطرةَ الماءِ التي ذهبت لتروي زرعَ الفلاحِ لها رحلة خاصة بها في داخل النبات، وقطرةُ الماءِ التي غاصت في باطن الأرضِ ومن ثم أخرجها الإنسانُ وشربها لها رحلة خاصة في جسمه ودمه. وقطرةُ الماءِ التي أخذها العالمُ إلى المخبر لها رحلة خاصة، إذ يقومُ العالمُ بتحليلها وإرجاعها إلى صورتها الأولى الغازية، ويفصل بين أجزاء جسمها.فقالت زينة: وما هي أجزاء جسم قطرة الماء ؟!

قالت قطرات الماء: إن قطرة الماء مؤلفة من غاز الأوكسجين وغاز الهيدروجين بنسبة معينة، وعندما يلتحمان مع بعضهما بوجود ضغط جوي وشرارة كهربائية يصيران قطرة ماء.



قالت زينة: إذاً قطرة الماء هامة جداً للكائنات الحية!. قالت رفيقاتها: إن الماء هو الذي أعطى لكوكب الأرض أهميته عن أخوته الكواكب الأخرى، ولولا الماء لما وجدت الحياة، فالماء أساس للحياة، والكوكب الذي لا يوجد فيه ماء هو كوكب ميت.



وبينما قطرات الماء تتكلم عن أهمية الماء وصل النهر إلى البحر وصبَّ فيه ماءَه، ونزلت زينة معانقة ذرات الملح، ومعانقة أخواتها قطرات ماء البحر وقبَّلت الأسماكَ، وامتزجت مع ذرات الملح لتصيرَ قطرة من ماء البحر المالح، وعادت إلى اللعب مع الأمواج تعلو وتنحدر على ظهرها مستلقية مسرورة من رحلتها العجيبة وقررت في نفسها أن تعيدَها مرة أخرى ولكن بأحداث جديدة لتكتشفَ المزيدَ عن رحلةِ قطرةِ الماءِ.

